ISSN: 2335-1756
NDL/BNA/4949-2013
مجلة مقاربات
مجلد: 06 عدد: 01 2020

الأدب المقارن و حوار الحضارات
دراسة في تحولات الأدب المقارن عند عبده عبود

د/ لباشرية خديجة
د/ كرفاوي بن دومة

ملخص

يعد مصطلح الحوار فعلا ثقافيا رفيعا يؤمن بالحق في الاختلاف،يكرس التعددية، ويؤمن بالمساواة، يدعو لاكتشاف المساحة المشتركة وبلورتها، وكثيرا ما يرتبط هذا المفهوم بمصطلح الحضارة الموسوم ب: " ذلك الطور الأرقى في سلم تقدم الإنسان"[1]، أو ما يعبر عنها بأنها مجموعة المفاهيم الموجودة عند مجموعة من البشر، وما ينبثق عن هذه المفاهيم من مُثل وتقاليد وأفكار، ونظم وقوانين ومؤسسات تعالج المشكلات المتعلقة بأفراد هذه المجموعة البشرية وما يتصل بهم من مصالح مشتركة ، أو بعبارة مختصرة " جميع مظاهرة النشاط البشري الصادر عن تدبير عقلي" [2]، ويدخل ضمن هذا النشاط كل ممارسة فكرية، اعتقادية، لغوية، أدبية، وما يصحبها من تفاعل في علاقات التأثر و التأثير بين هذه النشاطات.

الكلمات المفتاحية: الأدب، المقارن، حوار، الحضارات، تحولات، عبده عبود

لقد أثارت كثير من القضايا المعاصرة كقضية صدام الحضارات اهتمام كتاب ومفكري الغرب في مرحلة توسع حضارتهم ، في حين ظهرت دعوات وتعالت صيحات من منصفي الغرب ومن طرف من ينتسبون إلى العالم العربي و العالم الإسلامي في إطار سعيهم لمواجهة التحدي المفروض عليهم من محاولات الآخر الغربي الساعية للهيمنة و التسلط و الاحتواء وفرض قيم وتوجهات الغرب على الحياة السياسية و الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية، مستعملا القوة المادية واعتبارها " هي الحاسمة في إخضاع الآخرين و فرض شروط المنتصرين عليهم، نشهد اليوم تحولا جذريا في أدوات وتقنيات إدارة الصراع سببه التطور الذي نشهده في ميدان إنتاج المعارف و الأفكار والرموز و القيم، أي أن الصراع الثقافي قد انتقل من كونه عاملا مساعدا ليصبح أبرز حقول الصراع المعاصرة "[3].

لقد كانت لأفكار الغرب وتصوراته ضمن مخططاته الإعلامية و الثقافية في وسم العالم العربي و الإسلامي بتهمة الإرهاب و التعصب والهمجية ردود فعل قوية من طرف مفكري وكتاب هذا العالم المتهم، تجلت من خلال الدعوة إلى حوار الحضارات ، وإبراز قيم التسامح والتعايش التي تنبني عليها الحضارة العربية و الإسلامية؛ وفي هذا السياق يؤكد عبده عبود أن " حوار الحضارات كان موضوع ندوات كثيرة أخرى تمت في أقطار العالمين العربي والإسلامي، مما يشير بكل وضوح إلى وجود اهتمام عربي وإسلامي، رسمي وشعبي، كبير بهذا الموضوع، ومن مؤشرات ذلك الاهتمام العدد الكبير من

[1] محمد عمارة : التراث والمستقبل ،القاهرة : دار الرشاد، ط 2، 1418هـ -1997م، ص215

[2] أحمد عبد الرازق أحمد : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة : دار الفكر العربي، 1990، ص11.

[3] كريم أبو حلاوة: هل أصبح العالم مؤهلا لحوار الحضارات، مجلة المعرفة، العدد 473، فيفري 2003، ص59.

Mokarabat

المحاضرات التي ألقيت، والمقالات والأبحاث والدراسات والكتب التي ألفت ونشرت حول (حوار الحضارات)، للفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي و(صدام الحضارات) لصموئيل هانتينغتون إلى العربية أكثر من مرة، وما شهده الكاتبان المذكوران من رواج، وقيام جمهورية إيران الإسلامية بإحداث مركز دولي لحوار الحضارات"[1].

ولعل سائل ما قد تحيره أسئلة من قبيل: ما علاقة النقاش العالمي و العربي حول حوار الحضارات بالحقل الأدبي ؟ وما تجليات التناقضات الحضارية في الأدب؟ وهل يتطلب ذلك وضع أسس نظرية، وتحديد إجراءات تطبيقية لهذا النوع من الدراسات؟؛ وفي الحقيقة هي نفسها التساؤلات التي طرحها عبده عبود على نفسه وهو يعالج مسألة حوار الحضارات بصفته مختصا في الأدب المقارن.

لقد أكدت الدراسات و الأبحاث أن حلقة الوصل بين الأدب و الحضارة هي مكون الثقافة؛ وهذا مانلمحه في خطابات هنتغتون في المزج المتعمد بين الخصوصيات الثقافية وبالتالي بين الثقافة والحضارة ومع أن التشابك بين الثقافة والحضارة مؤكد بسبب اشتراكهما في العديد من العناصر التكوينية، مثل ما يؤكده العالم الأنتروبولوجي **تايلور** الذي ينظر للحضارة كمرادف للثقافة بالمعنى الإثنوغرافي الواسع؛ أو ما يشير إليه **ألفريد** في تعريف الحضارة بقوله" : إنها جملة المعارف النظرية و التطبيقية غير الشخصية التي يعترف إنسانيا بصلاحيتها، ويمكن تناقلها،أما الثقافة: فهي جملة من العناصر الروحية و المشاعر و المثل المشتركة التي ترتبط في خصوصيتها بمجموعة وبزمن معين"[2]، ولا يهمنا هنا الدخول في سجالات ومناقشات قد يطول الحديث فيها عن علاقة الثقافة بالحضارة، قام بها علماء في الفلسفة والفكر والأنتروبولوجيا، كسؤال ما الحقل الذي هو أعم، والذي يشمل الآخر؟؛ كنظرة فريق من العلماء الذي يرى أن الثقافة هي جزء من حضارة أعم جغرافيا ويقصرونها على مجتمع معين ويجعلون من الحضارات جملة الثقافات التي توجد بينها روابط خاصة.

تعد هذه المقدمة تأكيدا واضحا على علاقة الثقافة بالحضارة؛ ولكن ما علاقة الأدب بالثقافة؟، والإجابة كانت واضحة عند عبده عبود حين نقل الدرس المقارن من علاقات التأثر و التأثير إلى البحث في الأنساق الثقافية، والانفتاح على العلوم الإنسانية والتي تشترك جميعها في المكون الثقافي؛ فاعتبر النقد الثقافي المقارن خير ما يمثل هذه الأبحاث المنفتحة على العالم؛ وقد صاغ هذا التوجه في قوله: " من المعروف أن الأدب مكون أساسي من مكونات أية حضارة ومرآة لها، فهو يعبر عن أوضاعها، وخصوصياتها، والقيم التي تنهض عليها. ولذا فان من البديهي أن تتبدى التوازيات والتناقضات الحضارية بين المجتمعات في آدابها. ولهذا السبب أيضا يمكن أن تشكل دراسة الآداب أحد المداخل الممكنة والمجدية لحوار الحضارات. إلا أن ذلك يتطلب أمرين، أولهما أن تدرس الآداب على ضوء ذلك الهدف، والثاني أن تدرس بصورة مقارنة تتجاوز حدود الأدب القومي الواحد إلى أدبين قوميين أو أكثر والى الأدب العالمي، والأدب المقارن، كما هو معروف نوع من الدراسات الأدبية والنقدية لا يكتفي بدراسة أي أدب قومي داخل حدوده اللغوية والثقافية، بل

[1] عبده عبود: الأدب وحوار الحضارات ، مجلة المعرفة، العدد 473، فيفري 2003، ص 27.

[2] كريم أبو حلاوة: هل أصبح العالم مؤهلا لحوار الحضارات، ص 65.

Mokarabat

تخطى تلك الحدود، ليدرس الآداب ويقارن بعضها بالبعض الأخر انطلاقا من موقع "فوق قومي" وهذا ما يجعله مهما وضروريا لحوار الحضارات"[1].

–من منظور ظاهرة التأثر و التأثير:

من المجالات التي يبحث فيها الأدب المقارن معرفة مواضع التلاقي والاختلاف بين التقاليد الأدبية للشعوب، من خلال تفعيل آلية التأثر والتأثير، وبالنظر إلى قضية التلاقي فليس هناك أي مشكل يطرح على مستواها من ناحية التقريب بين الشعوب، إذ يتعرف أبناء كل شعب إلى الخصوصية الأدبية للشعوب الأخرى، ويتعلمون احترام تلك الشعوب وحضاراتها، ولكن الاختلاق قد يؤدي إلى مشاكل، غير أنه ليس بالضرورة أن يؤدي إلى التناقض أو الصراع الحضاري أما الأدباء فإنهم يتلقون الآداب الأجنبية بصورة منتجة، فيستفيدون منها في تجديد إبداعهم وتطويره.

يعبر عبده عبود عن علاقة ظاهرة التأثر و التأثير التي هي مناط البحث وأساسه في الأدب المقارن في منحى المدرسة التقليدية الكلاسيكية بقوله:" ومما لا شك فيه أن دراسات التأثير والتأثر لا يجوز أن تتحول إلى أعمال، مسك دفاتر، أو صادرات وواردات أدبية، فتأثر أدب قومي بأدب قومي آخر لا يقلل من أصالة الأدب المتأثر، ولا يزيد من أصالة الأدب المتأثر به، بقدر ما يدل على أن الآداب القومية تتفاعل وتتبادل المؤثرات فيما بينها ويغني بعضها بعضا، أما استخدام دراسات التأثير والتأثر لأغراض التباهي القومي أو الإقليمي فهو يتعارض مع روح الأدب المقارن وموقعه العلمي والمعرفي فوق القومي، ويتناقض بطبيعة الحال مع دعوة حوار الحضارات، وتجنبا لهذا المأزق أخذت دراسات (التلقي المنتج) تحل محل دراسات التأثير والتأثر في الأدب المقارن، وحررت دراسات التلقي المنتج الأدب المتلقي من شبهة السلبية والافتقار إلى الأصالة، وجعلته الطرف الايجابي المبدع في عملية التلقي، لأنه يتلقى الآداب الأجنبية وفقا لحاجاته ويتمثل ما تلقاه ويعيد إنتاجه إبداعيا وسواء مارس الأدب المقارن دراسات التأثير والتأثر أم دراسات التلقي الإبداعي، فانه يقرب بين الآداب، ومن ثم بين الحضارات وتلك صورة من صور حوار الحضارات"[2].

–من منظور حركة الترجمة:

لقد ساهمت حركة الترجمة الأدبية في تاريخ الحضارة العربية بدور فعال إذ ترجمت كتب ومؤلفات اليونان عند احتكاك العالم الإسلامي بالغرب مثل ما قام به العرب من ترجمة لكتابات أرسطو ككتاب فن الشعر وغيره من مؤلفات شتى في مختلف الفنون و العلوم، وقد كانت على الدوام في مدها وجزرها ومراحلها المختلفة مرآة لعلاقات الحضارة العربية بالحضارات الأخرى، ومن خلال دراسات الترجمة الأدبية يرى عبده عبود أن الأدب المقارن يستطيع أن يساهم في توضيح ما يسود بين الحضارات، كما يقوم " بدراسة حركة الترجمة الأدبية، من العربية وإليها على سبيل المثال، فانه يوضح جانبا أساسيا من العلاقات الحضارية الدولية، ومن نتائج هذا النوع من الدراسات المقارنة أنه يدل إلى مواضع القوة والضعف، والانجاز والتقصير في هذا النوع من التبادل الأدبي ... وعندما يقوم المقارنون بدراسة حركة الترجمة الأدبية في حضارة ما، ويبينون ما استوردته تلك الحضارة وما صدرته إلى الحضارات الأخرى في هذا المجال، فأنهم يؤرخون لجانب مشترك بين

[1] عبده عبود : الأدب وحوار الحضارات 2003، ص 29

[2] عبده عبود : الأدب وحوار الحضارات، ص 30-31.

Mokarabat

الحضارات، ويظهرون أنها كانت على الدوام مرتبطة فيما بينها بعلاقات تبادل وتفاعل، ولذا ليس هناك أي مسوغ لأن تتعالى أية أمة على الأمم الأخرى أدبيا أو حضاريا"[1].

–من منظور الصورولوجيا:

يؤكد عبده عبود أن دراسة صورة الشعوب وحضارتها من صميم الدرس المقارني من خلال تتبع الملامح العامة لهذه الصورة، ومن الضروري أن ينشيء هذا التتبع علاقات بينية يحصل بينها تفاعل ما قد يعلو و قد ينخفض بحسب الخلفيات الفكرية و الإيديولوجية للأشخاص الفاعلين،ولكنها في العموم هي تفاعلات إيجابية، ويصف هذا النوع من الأبحاث في قوله: " الدراسات الأدبية والنقدية التي تخدم حوار الحضارات هي تلك التي تستقصي صور الشعوب وحضاراتها في آدابها، كأن تدرس صور الشعوب الأجنبية وحضاراتها في الأدب العربي، ودراسة صور الشعوب وحضارتها في الآداب تمثل خطوة هامة على طريق تصحيح تلك الصور واستبدالها بصورة أكثر واقعية، وهذا إسهام جوهري في حوار الحضارات ... وعلى هذا الشكل يمكن أن تؤدي دراسة الآداب من منظور صورائي مقارن إلى تغيير جذري في مقاربة الأدب، ونقده وتدريسه مما يعد منعطفا في الدراسات الأدبية والنقدية، ومما لا جدال فيه أيضا أن دراسة الصور النمطية الثابتة المشوهة للشعوب الأخرى في الآداب ونقد تلك الصور، وردها إلى مرجعيتها الاجتماعية والإيديولوجية والتاريخية، هي أمور تساهم في تعزيز التفاهم بين الشعوب وفي حوار الحضارات "[2].

–من منظور أدب الرحلة:

يسعى أدب الرحلة إلى إيجاد فرص لتبادل الأفكار ونقل المهارات والمعارف، وتبادل الخبرات والموارد بين المنظمات والمؤسسات من أجل تشجيع الحوار والتواصل بين الثقافات بأفضل السبل الممكنة.، ولذلك يعد أبرز نموذج ملموس للحوار بين الثقافات ، لأن الناس انتقلوا على مدى قرون من مكان إلى مكان آخر إما للعمل، أو لطلب العلم، أو للتجارة، أو في مهام دبلوماسية، أو لغاية الترفيه، أما في العقود الأخيرة فقد تشعبت الأهداف وشملت الخلفيات الإيديولوجية والسياسية ، الثقافية و الإقتصادية

و يمكن تلخيص الأهداف الرئيسة التي يتوخى بلوغها في مجال أدب الرحلة في ما يلي [3]:

–تعزيز الحوار من خلال تشجيع أدب الرحلة وترجمته.

–تيسير الوصول إلى أعمال أدب الرحلة الأقل شهرة، وخاصة تلك المكتوبة باللغات المستخدمة على نطاق محدود، وتلك الأعمال الأقل حضوراً في الساحة الدولية.

–تشجيع المزيد من التنوع في الملتقيات الأدبية الدولية ونشر الأعمال الأدبية لفائدة جميع الفئات العمرية.

---

[1] نفسه: ص 33.

[2] نفسه ، ص 37/36.

[3] محمد اشتاتو:حوار الحضارات من خلال أدب الرحلات، الموقع الإلكتروني:https://marayana.com بتاريخ 9019/09/13 على الساعة13:30

Mokarabat

-صياغة منهجيات مبتكرة للإبداع الأدبي، وتشجيع الترجمة ودعمها وتدريب مترجمي الأعمال الأدبية العاملين باللغات الأقل استعمالا.

-تحفيز أنماط التواصل الجديدة متعددة الأطراف، وأشكال التعاون والمشاريع المبتكرة التي تمكن أدب الرحلة من التفاعل مع غيره من الأجناس الفنية، واستكشاف الدور الاجتماعي والسياسي للكتابة.

-تحفيز النقاش حول القضايا ذات الصلة بالحوار بين الثقافات.

-إيجاد فرص لتبادل الأفكار ونقل المهارات والمعارف، وتبادل الخبرات والموارد بين المنظمات والمؤسسات من أجل تشجيع الحوار والتواصل بين الثقافات بأفضل السبل الممكنة.

ونظرا لأبعاد أدب الرحلة الجليلة على عدة مستويات (أدبية، ثقافية، فنية، اجتماعية، إيديولوجية، سياسية، اقتصادية) ومساهمته في تقارب الشعوب يرى عبده عبود ضرورة تفعيله بقوله: " وفي كل الأحوال فان أدب الرحلات مصدر أساسي من مصادر صورة الأخر الأجنبي، وهو جدير بأن يدرس بطريقة نقدية مقارنة من منظور حوار الحضارات، وبأن تحلل الصور التي ينطوي عليها وتربط بدوافعها وخلفياتها الإيديولوجية والاجتماعية والثقافية"[1].

-من منظور الخلفيات الفكرية :

وما يلاحظه عبده عبود أن الدراسة المقارنة للآداب في ضوء حوار الحضارات هي دراسة تبين ما تنطوي عليه الأعمال الأدبية من قيم وصور سلبية وايجابية تتعلق بالآخر، فقد يكون احتقار الآخر، والتعصب ضده، والحقد عليه خادما لصراع الحضارات مشجعا على الحروب والنزاعات المسلحة، التي تترافق دائما مع حملات إعلامية تحرض الناس ضد الآخر، وتسعى تلك الدراسات الأدبية المقارنة باستقصاء التجليات والتجسيدات الأدبية لتلك العصبيات على المستوى الفني والجمالي أيضا، فتقارن الأشكال والتقنيات والأساليب الأدبية التي تستخدم في التعبير عن التعصب القومي والديني والعنصرية، وهي أدوات يجد الباحث فيها الكثير من التشابه والالتقاء، ومن خلال التعرف عليها يدرك مكامن الضعف و القوة لدى الآخر، فيتمكن عندها من مجابهة أي خطر منه أو من غيره [2].

يؤسس عبده عبود لفكرته المرتبطة بعلاقة الأدب و حوار الحضارات انطلاقا من سعى غوته في "الديوان" إلى بلورة "تركيب عظيم يضم ويوحد الغرب والشرق مستشهدا ببعض أشعاره في "الديوان الشرقي" [3]:

من يعرف نفسه والآخرين

سيعرف أيضا

أن الشرق والغرب

لا ينفصلان

وكتب غوته في مكان آخر من ديوانه الشرقي:

[1] عبده عبود : الأدب وحوار الحضارات، ص 37.

[2] نفسه، ص 42/41..

[3] نفسه، ص50.

لله المشرق،

لله المغرب،

الأرض شمالا، والأرض جنوبا،

ترقد أمنة، ما بين يديه.

وفي رأي عبده عبود أن **لغوته** أهمية كبيرة جدا بالنسبة لحوار الحضارات، وترجع أهميته إلى عدة أمور أبرزها [1]:

-موقفه من حضارة الأخر، وهو موقف الاحترام والحب والاعتراف بالندية دون شعور بالنقص، وهذا هو الشرط الأول لحوار الحضارات، فمن لا يحترم الحضارات الأخرى ويقدرها حق قدرها لن يكون قادرا على الدخول في علاقة حوارية معها، وهذا درس على كل المتحدثين عن حوار الحضارات أن يتعلموه من غوته.

- من الضروري الاستعانة بنظرية التلقي في تأسيس حوار الحضارات، وهذا ما قام به غوته عندما قام بالاطلاع على الأدبين العربي والفارسي، ومن هنا تنبع أهمية تيسير إمكانات استقبال الحضارات الأجنبية، كالترجمة وتعليم اللغات الأجنبية، فأن نحاور الآخر حضاريا يعني بالضرورة أن نعرض أنفسنا لحضارته وأن نتلقاها.

- انعكس تلقي الآداب الشرقية من قبل غوته فنيا ومضمونيا في إبداع ذلك الأديب، وبلغ ذلك التأثر الإبداعي المنتج ذروته في (الديوان الشرقي للمؤلف الغربي)، وتلك نتيجة حتمية لتلقي الآداب الأجنبية، فمن يستقبل أدبا أجنبيا يتأثر به بالضرورة.

-لم يكتف غوته بالانفتاح على الآداب الشرقية و التأثر بها إبداعيا، بل قدم أيضا صيغة نظرية للعلاقات المستقبلية للآداب ألا وهي صيغة أو مفهوم الأدب العالمي، ويصلح أن يتخذ كنموذج لما نسميه (حوار الحضارات). وتماما كما ولى زمن الآداب القومية المنغلقة المتقوقعة، ولى زمان الثقافات المتقوقعة والانعزالية. نظرا لأهمية دراسة الصورة في الأدب المقارن ودورها في معرفة آداب الشعوب وثقافاتهم وتبينها للناس القواسم المشتركة ، مما يعزز الشعور بالانتماء الإنساني كما أشرنا سلفا، ونظرا لأهمية الصورة ومساهمتها في تعزيز التفاهم بين الشعوب وفي حوار الحضارات، ونظرا للقيمة الإبداعية و الفنية التي تضفيها حركة الترجمة على مستوى التلقي وعلى مستوى حوار الحضارات " بات من الضروري أن تضع الدراسات الأدبية والنقدية لنفسها هدفا جديدا، ألا وهو أن تعيد قراءة الأدب، قديمه وحديثه، عربيه وأجنبية، من منظور جديد هو منظور حوار الحضارات، وبهدف جديد هو خدمة ذلك الحوار، الذي أصبح مشروع الأمل الجديد للعرب والمسلمين والبشرية جمعاء، وعندما توضع الدراسات الأدبية والنقدية في خدمة مشروع حوار الحضارات، تنفتح أمامها أفاق رحبة جديدة، وتتحول الى شريك فاعل في صنع مستقبل حضاري لائق للإنسانية "[2].

فيغدو بذلك حوار الحضارات -كما يرى **روجيه غارودي**- أكثر الأمور إلحاحا من أجل إقامة علاقات جديدة مع العالم مع سائر البشر ومع مستقبلنا المشترك، مما يساعدنا على أن ننفتح في الصعيد الثقافي، على آفاق لا نهاية لها[3].

[1] عبده عبود : الأدب وحوار الحضارات ، ص 50-51.

[2] نفسه، ص 54.

[3] روجيه غارودي: في سبيل حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان، دط،1999، ص216.

المراجع:

01- أحمد عبد الرازق أحمد : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة : دار الفكر العربي، 1990.

02- محمد عمارة : التراث والمستقبل ،القاهرة : دار الرشاد، ط 2، 1418هـ -1997م.

03- كريم أبو حلاوة: هل أصبح العالم مؤهلا لحوار الحضارات، مجلة المعرفة،، العدد 473، فيفري 2003.

04- عبده عبود: الأدب وحوار الحضارات ، مجلة المعرفة، العدد 473، فيفري 2003.

05- روجيه غارودي: في سبيل حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان، دط،1999.

06- محمد اشتاتو:حوار الحضارات من خلال أدب الرحلات، الموقع الإلكتروني:https://marayana.com بتاريخ 9019/09/13 على الساعة13:30

Mokarabat